في الحاجة إلى الفعل الحضاري التنويري

الأخطاء تجعل الإنسان عاجزاً عن أي فعل نهضوي

| محمد الحوراني

في أواخر القرن الثامن عشر (١٧٨٤م) كتب الفيلسوف الألماني كانط مقالته الشهيرة: ما الأنوار؟ عبر نص قصير لمّا يزل غامضاً على حد تعبير ميشيل فوكو. في هذا النص دفع كانط بالتساؤل الجوهري إلى الواجهة: ما الأنوار؟ وأجاب كانط: بأن الأنوار هي حالة خروج الإنسان من قصوره الذي هو مسؤول عنه في الدرجة الأولى. قصورٌ يعني عجزه عن استعمال عقله من دون توجيه من أحد. ولا يكمن سبب القصور هذا في العقل، بقدر ما هو كامنٌ في الافتقار إلى القرار والشجاعة في استعماله من دون إشراف غيره، فمحاولة الخروج من حالة ما وفق قوالب مسبقة الصنع لا تكون تنويراً، بقدر ما هي إمعانٍ في الماضوية وفق أقنعة جديدة قد يلبسها صاحبها ليوس الحداثة من غير أن يكون حداثياً أو راغباً في الفعل النهضوي. إذا فالتنوير، في المقام الأول، هو خروج الإنسان من قصوره الفكري، الناجم عن عجزه عن استخدام عقله إلا بتوجيه من إنسان آخر.

ولعل الكسل والجبن هما علة بقاء البعض من الناس عاجزين وقاصرين طوال حياتهم فكرياً ومعرفياً وحضارياً، رغم أن الطبيعة حررتهم منذ زمن طويل من كل سلطة ووصاية خارجية وغريبة عليهم. إن مبدأ التنوير الذي يجب الانطلاق منه هو: «كن شجاعاً واستخدم عقلك بنفسك! وثمة إرهاصات تنويرية وإصلاحية عرفها التاريخ المعرفي العربي والإسلامي، إرهاصات لاقت قبولاً، أحياناً، لدى البعض ورفضاً لدى البعض الآخر، أو أنها لاقت تخويناً لأصحابها عند بعض المنغلقين على ذواتهم وأفكارهم والرافضين لأي فعل ثقافي استنهاضي يخرج الأمة من واقعها المأزوم ويرتقي بها إلى المكانة التي ينبغي أن تكون فيها منذ زمنٍ بعيد.. إلا أن تلك الإرهاصات والحركات مُنيت بنكسات كثيرة ولم تستطع القيام بما يجب عليها القيام به، ولعل التحديات التي يواجهها العرب ومشاريعهم، وحرص البعض منهم، ولاسيما من مثقفيهم، على نشر الفكر الظلامي الذي يزدري العقل، ويحرص على سيادة ذهنية الاتباع والاجترار، كانت من أهم العوائق التي اصطدم بها المشروع النهضوي والتنويري فضلاً عن عوائق أخرى لا تقل أهمية عما ذُكر. والحقيقة إن التأمل في مشروع كانط للتربية، وعلاقته بمشروعه الأخلاقي، يجعل الانطلاقة نحو التنوير أكثر فعالية وإمكانية للنجاح، وهو مشروع يخرج من الوصاية والاتكال على الآخر، ويحقق لنا حريتنا التي تبني مستقبلنا، كما أنه يجعل من التربية الركن الأساسي للنهوض المعرفي والتنوير الحقيقي.. صحيحٌ أن ثمة عوائق وموانع تمنع مشاركتنا ومساهمتنا في الفعل المؤثر والبناء، إلا أنها حدودٌ وعوائق موجودة في أذهاننا قبل وجودها في أي مكان آخر، وتتمثل هذه العوائق في فهمنا للحقيقة الإجرائية والمجدية والفعّالة على المستوى الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والحضاري.

ولاسيما أننا نعيش انفصالاً جنونياً ومدمراً اليوم.. وسيرفضنا العالم إن لم نحرّك سواكننا، ونعمل على إعمال عقولنا، وتخليصها من إعاقتها التي كنا نحن المُتسبب الأول فيها، أو بقينا نفكّر حسب أنماط قروسطية مغرقة في التخلف والرجعية والماضوية. إننا بأمسّ الحاجة في هذه اللحظة التاريخية الراهنة إلى صياغة مشروع حضاري نهضوي عربي جديد، مشروع يستنهض الهمم ويُعلي من قيمة العقل ويقدسه، ذلك أنه لا سبيل إلى انتصارنا على المشروع الاستعماري الغربي والمشروع الصهيوني والمشروع الإرهابي التكفيري الذي يعصف بالمنطقة العربية، إلا بتحقيق المشروع الحضاري التنويري العربي، وهو مشروعٌ يتطلب مزيداً من تقوية دعائم الفكر التاريخي والتاريخ المقارن، حيث تساعد معطيات التاريخ المقارن على سبيل المثال في تحديد الأحكام والتصورات الإطلاقية المهيمنة على آليات تفكيرنا.. صحيح أن إنجاز ثورة ثقافية في فكرنا يتطلب جهوداً متواصلة في باب استيعاب نتائج الثورات المعرفية والعلمية التي تبلورت في الفكر المعاصر، إلا أن هذا الأمر الذي نتصور إمكانية تحققه في المدى الزمني المتوسط لا ينبغي أن يجعلنا نتوقف عن استكمال مهام الحاضر المستعجلة المتمثلة في مشاريع تطوير منظوماتنا في التربية والتعليم، إضافة إلى تشجيع البحث العلمي الحقيقي القادر على إيقاظ العقل من سباته وتخليصه من تبعيته، فضلاً عن توسيع مجالات ودوائر الاستفادة من نتائجه وآفاقه في المعرفة والمجتمع والاقتصاد الخ، ولاسيما أن هذه المعارك هي الخطوة التمهيدية والانطلاقة الأولى نحو المشاريع النهضوية والفكر الحرّ. فثمة حاجة ماسّة لتكوين وخلق العقل النقدي الذي لم يتكون لدينا بعد، ولا يتكون العقل النقدي إلا بالتعامل مع المفاهيم وليس مع الألفاظ وهذه هي الثورة الحقيقية التي يجب العمل عليها، وعندما نصل إلى هذا الحد نستطيع أن نضع حداً لكل خطأ، وبالتالي يمكن إنهاء الخطأ الذي يولّد أخطاءً كثيرة تجعلنا مكبلي الفكر والممارسة، فالأخطاء تجعل من الإنسان عاجزاً عن أي فعل نهضوي وبالتالي تدفعه إلى الاستقالة النهائية من معركة الفعل الحضاري المؤثر.

إن عملية النهوض المعرفي والحضاري لا يمكن أن تتم إلا بسعي الدول والأحزاب والأفراد بوساطة الإنتاج المادي والرمزي والتنظيم السياسي إلى إرساء مشروعية نظرية وعملية مستحدثة، وذلك بتحقيق قيم التنوير في المنطقة العربية أي دعم العقلانية، وتطوير التقدم والتسامح ونمو الحرية وتحقيق السعادة وتجسيم الإنسانية والاقتراب من الكمال الإنساني، بفضل العلم والتقنية والديمقراطية وحقوق الإنسان، اقتداء بالأوروبي أو ممانعة له. وليست عبارات «اقتداء» «ومحاكاة» و«ممانعة» مرسلة بل إنها تلخص النحو المخصوص لنوع التعاطي ما بعد الكولونيالي مع صلة أوروبا بخارج أوروبا، «فالاقتداء» نعني به ما يجمع «صلة التابع» (Subalternity) بالغالب، وهي تعود -كما هو معلوم- إلى المفكر الماركسي الإيطالي أنطونيو غرامشي منذ ١٩٣٤- ١٩٣٥.

والاقتداء عربياً تعني الاستفادة مما هو إيجابي وتعزيزه في المشهد الثقافي والمعرفي والفكري، بعيداً عن كل ما من شأنه أن يعمّق ثقافة التخوين والتأثيم والتفسيق، ذلك أنه من المستحيل نسخ حركة الأنوار الأوروبية، ولاسيما أنها كانت مشروطة بسياقات معيّنة ومقاصد معيّنة وبإرادة معيّنة. وإذا كان العرب مطّلعين على مفاهيم الأنوار وعلى شروط التقدم والمعقولية، فما الذي يعوّقهم عن المشاركة في حركة العالم وفي تجاربه، وعن الدفاع عن مصالحهم المختلفة؟ وما الذي يصرفهم عن التجديد وعن تحقيق مبدأ التسامح والعدالة المنشودة؟ إن الرغبة الصادقة في تحقيق الفعل الثقافي والتنويري لن تكون إلا بالتحرر من الموروث الثقافي والتاريخي الذي يذكي الصراعات بين الأمم. فالحروب لا تقطع العلاقات بين أبناء الشعب وتعزز انقسامهم فقط، وإنما تشعل معارك ومشاجرات عنيفة بين المثقفين المؤيدين والمعارضين للحرب. وكلمة «فوق المعركة» لا تحيل على الانفصال والحياد وإلغاء الروابط والولاءات فقط، بل إنها تُحيل أيضاً على مسافة للسمو فوق الخلافات لمصلحة الوطن والإنسان، لأن الوطن والإنسان والعقل من أهم الركائز الأساسية في أي فعل ثقافي أو تنويري.

الخنساء شاعرة الفخر والرثاء

رثت أخويها وقدّمت أبناءها للحرب فكانت رمزاً ومضرباً للمثل

| عامر فؤاد عامر

الخنساء ظاهرة فريدة في الشعر العربي فهي شاعرة الرثاء في عصري الجاهليّة وصدر الإسلام من دون منازع. ويقال إن عينيها تقرحتا من شدّة بكائها أخويها صخراً ومعاوية وقد نهاها الخليفة «عمر بن الخطاب» عن البكاء وفي تلك المناسبة رثتهما شعراً فرقّ قلبه عليها. ومن الأقوال المأثورة عنها ما قالته لأولادها الأربعة قبل الذهاب لمعركة القادسيّة: «اعلموا أن الدار الباقية خيرٌ من الدار الفانية...»، وقد استشهدوا أيضاً في هذه المعركة.

صورة مشرقة

ضمن سلسلة «عظماؤنا» اختارت الدكتورة «سحر عمران» شاعرة الفخر والرثاء «الخنساء» لتكون صورة مشرقة في أذهاننا من جديد تذكر مآثرها بصورة واضحة وسريعة ومبسطة، وضمن شروط هذه السلسلة الغنيّة. فكان الكتاب في بابين الأوّل نبذة عن الخنساء والثاني اختياراتٌ من شعرها إضافةً للمقدمة.

نبذة عن الخنساء

هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد السّلّمي، المولودة عام ٥٧٥ م، ولُقّبت بالخنساء لقصر أنفها وارتفاع أرنبته. وينتهي نسبها إلى الشاعر العربي امرئ القيس. عُرفت بحريّة الرأي وقوة الشخصيّة، وتزوجت مرتين وكان زواجها الأوّل من ابن عمها «رواحة عبد العزيز السلمي» وأنجبت منه ولداً. أمّا الزواج الثاني فكان من «مرداس بن أبي عامر السّلّمي» وهو ابن عمها وأنجبت منه أربعة أولاد. قضت معظم حياتها في الجاهليّة ولما أدركت الإسلام اعتنقته هي وأولادها. وتضاربت الروايات حول تاريخ وفاتها ومن المرجح أن يكون عام ٦٦٤ م.

في الصدارة

يجمع أهل العلم بالشعر أنه لم يكن هناك امرأة قبلها ولا بعدها أعلم منها بالشعر، وجاءت شهرتها الكبيرة في الشعر بعد رثائها لأخويها صخر ومعاوية – في العصر الجاهلي – وكذلك في حثّها أبناءها الأربعة على الحرب في معركة القادسيّة – في عصر الإسلام – فكانت مثالاً للمرأة المسلمة والعظيمة والمؤمنة المحتسبة الصابرة والمربية الفاضلة. وتقول الدكتورة «سحر عبد الله عمران» في شاعريّة الخنساء: «...أهمّ ما اتسم به شعرها هو السهولة واللين والعاطفة الهائجة التي تنطق دونما تكلف. بقي أن نشير إلى أن شعر الخنساء كلّه رثاءٌ ممزوجٌ بالفخر».

قالت الخنساء ترثي أخاها صخراً:

يا عينِ مالكِ لا تبكينَ تسكابا؟
إذ رابَ دهرٌ، وكان الدهرُ ريّابا
فابكي أخاكِ لأيتامٍ وأرملةٍ
وابكي أخاكِ، إذا جاورتِ أجنابا
المجدُ حُلّته، والجودُ علّتهُ
والصّدْقُ حوْزتُهُ إن قِرْنهُ هابا

وقالت في معاوية بن عمرو:

دعوتم عامراً فنبذْتموهُ
ولم تدعوا معاويةَ بنَ عمرو
إذا لاقى المنايا لا يبالي
أفي يُسرٍ أتاهُ أم بِعُسرِ
كمثلِ اللّيثِ مُفترشٍ يديه
جريءِ الصّدْرِ رئبالٍ سِبَطْرِ

وقالت في «كُوْزٍ» ابن أخيها صخر:

من لامني في حبّ كوزٍ وذكره
فلاقى الذي لاقيتُ إذ حفرَ الرّحمْ
فيا حبذا كوزٌ إذا الخيل أدبرتْ
وثار غبارٌ في الدّهاسِ وفي الأكَمْ
فنعمَ الفتى تعْشو إلى ضوءِ ناره
كُوَيْزُ بن صخرٍ ليلةَ الرّيح والظلمْ

عظماؤنا

الكتاب من إصدارات وزارة الثقافة، الهيئة العامة للكتاب، سلسلة «عظماؤنا» التي جاءت بدايةً بأبي فراس الحمداني، ثم عمرو بن عبد العزيز، وابن النفيس الدمشقي، وابن عساكر، وأسامة بن المنقذ، والخنساء التي جاءت في الكتاب السادس من إعداد وتقديم الدكتورة سحر عمران.

برجك اليوم ٣/١٦

نجلاء قباني

لا تتسرع بأخذ أي قرار كارتباط عاطفي أو هجر للعمل لأن القلق والملل هما السبب أو تعاني إرهاقاً سببه الضغط العصبي الذي يأتيك من قلق عائلي أو صحي.

اليوم جيد لتعيش إقبالاً على الحياة ولتقوم ببعض التغييرات لتكون الأمور أفضل فأقنع المحيط بكفاءتك وبوجهة نظرك فالحظوظ مساعدة لتغير قدرك نحو ما تتمنى.

المصروف أكثر من الدخل وأكثر مما تتوقع فكن أكثر تنظيماً، مفاجأة تجعلك تصرف أكثر من دخلك سيحمل هذا اليوم تفكيراً في سفر يغذي مواردك ويمنحك المكاسب المادية.

أنت تميل لأن تفهم ما يحصل داخل الشريك بسؤاله أو بمحاورته أو بمتابعة أخباره لتربط ما حصل بما يحصل وقد تأخذ قرارات بمصالحات أو بتفاهم مع من تحب.

لا تجعل حماسك يأخذك بعيداً واحرص على أن تكون قدماك دائماً على الأرض وحاول أن تزيل خلافاتك احذر إعطاء ثقتك في الناس بسرعة ولا تتورط بمشاريع لا تعرف عنها شيئاً.

تتعرف إلى أصدقاء يلهبون مشاعرك أو يمنحونك السعادة والإحساس ويعززون ثقتك بنفسك فأنت تنطلق هذا اليوم نحو علاقات اجتماعية وتستعيد حياتك واطمئنانك.

الأحداث تجعلك لإرادة الآخرين في أمور لايد لك فيها راوح مكانك وكن هادئا لا تستسلم للغضب أو التخاذل في مشاريعك ولا ترد على الاستفزازات والمعاكسات.

اليوم سيمنحك حدة الذهن والخيال اللازم للإبداع والخلق والأفكار الجيدة التي تحتاج إلى حدة ذكائك لوضعها موضع التنفيذ وبالقدر الكافي من الهدوء.

إذا كنت سترفض التنازل فلا ترفض المساعدة فاليوم للحلول والمصالحات وتنال الكثير من التأمين أو الدعم أو المحبة والتشجيع للقيام بخطوات قد تغير حياتك.

تصرف بوضوح وذكاء لأن أخطاءك ستتسبب بمشاكل لوقت طويل قلل من نقاشك تفتقر اليوم إلى دعم من الآخرين، اعتمد الصبر واللين فقد تتعرض للتأجيل.

كن صبوراً ولا تعتمد على الأصدقاء ومساعدتهم بل اعتمد على جهودك المنفردة وحدد هدفك ولا تبعثر نشاطاتك وناقش الجديد قبل أن تبذل جهوداً في غير مكانها.

تحسن التأثير في المحيط وتمارس سحرك الشخصي، الفترة جيدة وتشعر بالارتياح ولو ناقشت بموهبتك في الإقناع المعروفة عنك لكانت أمورك أفضل يوم جيد.

كلمات متقاطعة

أفقي:

١- مغنٍ عراقي.
٢- شخصية مسرحية لشكسبير- حروف متشابهة- صحن لاقط.
٣- مدينة سودانية- أعرف- إله (بالأجنبية).
٤- اقترب (م)- نادر- رَجْلٌ (م).
٥- عملة آسيوية (م)- يعترف (م)- سَحَبَ.
٦- للتمني- حرف عطف- يابسة (م).
٧- علم مذكر (م)- أسرّ وألعب.
٨- من أعضاء جسمي- من المشروبات- عمّ.
٩- حروف متشابهة- يَد (م)- حروف متشابهة.
١٠- نصف ترهب- اسم موصول- مسنٌ.
١١- تَعَبٌ- ضمير منفصل- خاصتي.
١٢- عاصمة آسيوية- مدينة مغربية.

عمودي:

١- مخرج تلفزيوني سوري.
٢- طقسي- تهنئة.
٣- برود- ماركة سيارات- جوهر.
٤- نصف ديار- دولة أوروبية- للمساحة (م).
٥- أقبل- والدة.
٦- رتبة عسكرية- للتأوه.
٧- دولة إفريقية – تقال قبل الموال- اكتمل (م).
٨- مستقر- أقبض عليه.
٩- حرف ناصب (م)- ظلْم – طريق صعب (م).
١٠- ضاحية في دمشق- سيف.
١١- رأي حاذق- متشابهان- حرف ناصب.
١٢- شاعر سوري.

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
١												■
٢						■				■		
٣				■					■			
٤				■					■			
٥			■				■	■			■	
٦		■			■		■			■		
٧					■	■					■	
٨					■				■			
٩						■			■			
١٠			■	■			■				■	
١١	■				■			■		■		
١٢						■						■

الحل السابق:

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
١	ع	ل	ا	ا	ا	ل	ا	س	و	ا	ن	ي
٢	م	ب	ا	ر	ز	هـ	■	ل	م	■	س	و
٣	ر	ن	■	و	ر	م	■	ا	ي	■	ر	س
٤	ا	ا	ا	ا	■	■	هـ	ل	ض	ا	■	ف
٥	م	ن	■	د	ر	ب	■	هـ	■	ع	ر	ش
٦	ي	■	ر	■	ي	ح	س	■	ا	م	ن	ع
٧	ر	ج	ي	■	م	ر	ي	ع	■	ر	ي	ب
٨	ل	■	ق	ل	ح	■	ر	ر	ر	■	م	ا
٩	ا	ر	■	م	ن	ا	هـ	ف	■	ل	■	ن
١٠	ي	■	ا	ي	ا	ر	■	■	ر	ن	ا	■
١١	■	ف	ا	س	■	ي	ح	ز	م	■	ل	ل
١٢	م	ل	ا	■	م	ج	ا	ز	■	م	ق	ل

كلمة السر

ك	ل	ا	ح	ا	ي	ت	ر	ا	ل	ا	و
ت	ا	ر	ج	م	ل	ا	ع	ل	ا	ت	ا
ث	ل	ي	و	ق	ل	ب	ي	ي	و	غ	ج
و	ف	ن	س	ن	ع	ط	ر	ك	ي	م	ز
ن	و	ث	و	ي	ي	ر	ق	ة	ن	ر	ا
ا	ا	ر	ى	ل	ى	ل	ع	ا	ب	ن	ء
و	ح	ش	و	ا	س	ب	ك	ل	ض	ي	ي
ا	ه	ع	ج	م	ظ	ه	ر	ك	ف	ن	ب
ض	د	ا	ه	س	ب	ب	ك	ل	ي	ي	ش
م	ا	ك	ي	ر	ق	ش	ع	ل	ا	ح	ي
ك	ا	ش	ع	ر	م	ع	ا	ن	ل	ا	ء
ة	ق	ي	ق	ر	ل	ا	ي	ر	ف	ر	ف

كلمة السر مؤلفة من ثمانية حروف: ممثلة سورية.

(حين أضمك لا أشعر بشيء في هذا العالم... سوى رقة شعرك الناعم يرفرف على وجهي... وينثر عطرك الفواح... وقلبي يلامس ظهرك.. وينبض بكل العشق والارتياح... وأنوثتك الرقيقة تغمرني بكل أجزائي..)

SUDOKU

5					9		6	
8			4			5		
9			2			4		1
		1			3			5
4					6			9
6			5	7		2		
1		8			4			6
		4			1			7
	6		8					3

تتألف اللعبة من تسعة مربعات كبيرة داخل كل منها تسعة مربعات صغيرة، يجب ملء المربعات الصغيرة بالأرقام على ألا يتكرر الرقم أكثر من مرة في كل مربع كبير وفي كل خط عمودي وأفقي.

الحل السابق:

8	7	6	4	9	1	5	3	2
3	4	2	7	6	5	8	9	1
5	1	9	8	3	2	4	7	6
2	8	3	5	4	7	6	1	9
4	6	1	2	8	9	7	5	3
7	9	5	3	1	6	2	4	8
1	2	7	9	5	8	3	6	4
9	5	4	6	2	3	1	8	7
6	3	8	1	7	4	9	2	5

الطقس

	اليوم	غداً
دمشق	١٧°/٧°	١٦°/٧°
حمص	١٥°/٨°	١٤°/٨°
حلب	١٥°/٥°	١٤°/٥°
اللاذقية	١٧°/١٤°	١٦°/١٣°
السويداء	١٣°/٦°	١٤°/٦°
الحسكة	١٦°/٨°	١٥°/٧°

من هو؟

فنانة سورية، إذا جمعت الأحرف:

٢ + ٦: عاصفة بحرية.
٣ + ١: مقياس للمساحة.
٤ + ٥ : ٧: من الحيوانات.

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧

الحل السابق: رنا جمول.